السلالة. » كلب عدواني يطارد الكلاب الأصغر ويشتبك معها ويصيبها إصابات بالغة تودي في بعض الأحيان بحياتها. ثم فقد الكلب عدوانيته إذ «تدهور حاله تدريجيا وخمدت همته. . . وصار يدمن النوم بشكل متزايد وتقل رغبته في العراك. » ينهي القصل وصفه للكلب قائلا: بقيت ذكرى الكلب حيةً في عبارة «كلب شرد» التي صارت كنية أي أوروبي تنحط معنوياته ويصيبه الخمول من جراء طقس مصر وإقامته الطويلة فيها».

لم يتأثر صمويل شبرد كما تأثر كلبه بإقامته الطويلة في مصر، وهو ما تؤكده رسالة بخط يده وجهها لأحد أصدقائه في إنجلترا. قال:

«أكره القانون وفي كل الحالات أحاول كلما أمكن تجنبه. وفي المؤسسة التي أديرها أضطلع بنفسي بتنفيذه، وويل لمن يقع تحت طائلته، فعادة ما يكون وقعه ثقيلا. أتعامل مع أوغاد وحمقى سيئين، إن لم أستخدم معهم من حين لآخر قانون الهراوة أعتقد أنهم سيستخدمونه ضدي. . . ولكن عليك أن تعرف أن القانون لا يسمح بذلك، ولهذا فإنني حين أضرب رجلا. . . أضربه ضربا مبرِّحا. وما دامت القنصلية تفرض الغرامة نفسها إن كان الضرب مبرِّحا أو لم يكن، أحب أن أحصل على مقابل ما أدفعه من مال.

تصور الفريق الذي يتعين عليّ التعامل معه: رئيس الطهاة فرنسي، المشرف على تقديم الطعام مجري، مساعده يوناني، الثالث بربري [يقصد نوبي]، رئيس الحوذيين إنجليزي، معاونه حبشي، الخدم بَرابْرة [نوبيون]، ويقوم بغسل الصحون وما شابه من أعمال، عرب. »

أقتبس هذه الرسالة وكلام القنصل الأمريكي من كتاب مايكل برد عن شبرد. والحق أنني سعيت طويلا للحصول على الكتاب إلى أن اهتديتَ أخيرا لوجوده في إحدي المكتبات العامة. خيب الكتاب ظني، إذ امتدت فترة بحثي عنه مما وفر الوقت والحيز لأمنّي نفسي بكتاب ضخم يحكي لي تفصيلا عن مائة عام من حياة الفندق، وإن كانت موزَّعة على موقعين، موقعه القديم المطل على